بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبع هداهم واقتدى بهم ، إلى يوم الدين .

« وبعد » فليس هيّناً على دارس الفلسفة، ماتكلفه الطبعة المصرية لكتاب « الإشارات » من عنت وإرهاق :

لأخطائها الفاحشة التي لا يؤمن معها الوثوق بصحة النص .

وخلوها من المنطق ، وهو قسم هام من أقسام الكتاب ، الأمر الذي يجعله يشعر بأنه يقتنى بعضاً من كتاب ، لا كتاباً كاملا .

وخلوها من التنظيم والترتيب والفهرست ، الأمر الذي يجعله مضطراً لأن يجول في الكتاب جولات واسعات ، ويقرأ كثيراً مما لا يريد ، حتى يظفر بما يريد ، وربما يعود بدونه .

ولهذه الشروح المطولة التي يتيه النص في ثناياها ، والتي تفرض نفسها عليه ، حتى في حال استغنائه عنها .

كذلك ليس هيّناً عليه ما تكلفه طبعة « ليدن » :

خلوّها إطلاقاً عن الشرح والتعليق ، مع مساس الحاجة إليهما أحياناً .

ولتركها إياه بين أصول مختلفة ، تؤدى فى كثير من الأحيان إلى معان مختلفة ، دون أن تختصر له الطريق ، وتدله على أحقها بالأخذ والقبول ، مع حاجة كثير من القراء إلى ذلك .

ولهيآت حروفها ، التى هى على خلاف ما اعتاد البصر أن يراه من صور الحروف وهيآتها ، الأمر الذى يجعل البصر يحس إزاءها بغرابة وسآمة ، بل بتعب وضعف .

ثم هى رغم ذلك نادرة جداً ، بل تكاد تكون مفقودة .

لكل هذا عقدت العزم على أن أخرج الكتاب إخراجاً علمياً ، يأخذ — على قدر الطاقة — بما للإخراج العصرى من يسر وسهولة ، ودقة وتمحيص ويتفادى كل هذه الصعاب التى أشرت إليها فى طبعتى « مصر » و « ليدن »

وأسأل الله العون والتوفيق ؟

١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

سليمان دنيا

حياة ابن سينا

ولد الشيخ الرئيس عام ٣٧٠ للهجرة ، الموافق عام ٩٨٠ للميلاد ، فى قرية « أفيشنا » على مقربة من « خرميتان » ، و بعد ميلاده ببضع سنين عاد به أبوه إلى « بخارى » وعنى بتربيته .

وقد كان ذكيا موهوبا ، أحاط بعلوم عصره إحاطة الناقد البصير ، على قرب عهد بسن الصبا ، حتى ذاع صيته وعمت شهرته ، وقد تقلد مناصب الحكم غير مرة ، كما حيكت حوله دسائس ، ودبرت مكائد ، شأن أولئك العظماء الذين يخلق لهم نبوغهم وعظمتهم مناوئين وحاسدين .

و بعد حياة حافلة بضروب المغامرات العلمية والسياسية ، وافته منيته عام ٤٢٨ هجرية الموافق عام ١٠٣٧ ميلادية ، بالغا من العمر سبعا وخمسين .

* * *

« و بعد » فمنذ بضعة أعوام خلت ، ساقت إلىّ المصادفة كتابا بعنوان « منطق المشرقيين ، تصنيف الرئيس أبى على بن سينا » ، تناولته لأقرأه فإذا فى مقدمته :

obeikandi.com

« وبعد فقد نزعت الهمة بنا إلى أن نجمع كلاما فيما اختلف أهل البحث فيه، لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى أو عادة أو إلف ، ولا نبالي من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلموا كتب اليونانيين إلفا عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا في كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة ، المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم ، ولم ينل برحمته سواهم .

مع اعتراف منا بفضل أفضل[١] سلفهم في تنبهه لما نام عنه ذووه وأساتذته وفي تمييزه أقسام العلوم بعضها عن بعض ، وفي ترتيبه العلوم خيرا مما رتبوه ، وفي إدراكه الحق في كثير من الأشياء ، وفي تفطنه لأصول صحيحة في أكثر العلوم ، وفي اطلاعه الناس على ما بيّنها فيه السلف وأهل بلاده ، وذلك أقصى ما يقدر عليه إنسان ، يكون أول من مد يديه إلى تمييز مخلوط ، وتهذيب مفسد[٢] .

ويحق[٣] على من بعده أن يلموا شعثه ، ويرموا ثلما يجدونه فيما بناه ، ويفرعوا أصولا أعطاها .

---

(١) لعله يعني « أرسطو »

(٢) لعل التعبير « بمفسد » بدل « فاسد » للاشارة إلى أن فساده ليس من نفسه بل دخيل عليه .

(٣) يعني أن الواجب على من جاء بعد أرسطو أن ينظر فيما خلفه نظرة فاحصة ، ليتدارك ما عسى أن يكون أرسطو قد قصر فيه، وليس على أرسطو من بأس أن يكون قد قصر ، فإنه قد ورث عن سلفه حملا ثقيلا لا يستطيع وحده النهوض بأعبائه .

ثم قدر[١] مَن بعده على أن يفرغ نفسه عن عهدة ما ورثه منه .

وأذهب عمره فى تفهم ما أحسن فيه، والتعصب لبعض ما فرّط من تقصيره. فهو مشغول عمرَه بما سلف ، ليس له مهلة يراجع فيها عقله ، ولو وجدها ما استحل أن يضع ما قاله الأولون موضع المفتقر إلى مزيدٍ عليــه ، أو إصلاحٍ له أو تنقيحٍ إياه .

وأما نحن فسهل علينا التفهم لما قالوه ، أول ما اشتغلنا به ، ولا يبعد أن يكون قد وقع إلينا من غير جهة اليونانيين علوم ، وكان الزمان الذى اشتغلنا فيه بذلك ريعانَ الحداثة ، ووجــدنا من توفيق الله ما قصر علينا بسببه مدة التفطن لما أورثوه ، ثم قابلنا جميع ذلك بالنمط من العلم الذى يسميه «اليونانيون» « بالمنطق[٢] » — ولا يبعد أن يكون له عند المشرقيين اسم غيره — حرفا حرفا ، فوقفنا على ما تقابل وعلى ما عصى ، وطلبنا لـكل شىء وجهة ، فحق ما حق وزاف ما زاف[٣] .

---

(١) أى لم يفعلوا ما هو واجب عليهم ، وتقبلوا هــذه التركة التى خلفها لهم أرسطو بقبول حسن بالرغم مما تشتمل عليه من نقص .

(٢) يشير إلى ما ذكره عن نفسه فى تاريخ حياته من أنه كان يمتحن المسائل كلها بالمنطق؛ ليكون مطمئنا إلى صحتها إن قبلها ، وإلى خطئها إن رفضها .

(٣) صريح فى أنه رد بعض فلسفة أرسطو .

ولما كان المشتغلون بالعلم شديدى الاعتزاء[1] إلى «المشائين[2]» من اليونانيين ، كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور ، فانحزنا إليهم وتعصبنا «للمشائين» : إذ كانوا أولى فرقهم بالتعصب لهم ، وأكملنا ما أرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه ، وأغضينا عما تخبطوا فيه وجعلنا له وجها ومخرجا ، ونحن بدخلته شاعرون ، وعلى خطله واقفون ، فإن جاهرنا بمخالفتهم ففي الشيء الذي لم يمكن الصبر عليه ، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل ، فمن جملة ذلك ما كرهنا أن يقف الجهال على مخالفة ما هو عندهم من الشهرة بحيث لا يشكون فيه ، ويشكون في النهار الواضح. وبعضه قد كان من الدقة بحيث تعمش عنه عيون عقول هؤلاء الذين في العصر ، فقد بلينا برفقة منهم عاري الفهم ، كأنهم خشب مسندة ، يرون التعمق في النظر بدعة ، ومخالفة المشهور ضلالة ، كأنهم الحنابلة في كتب الحديث ، (لو وجدنا منهم رشيدا ثبتناه بما حققناه) ، فكنا ننفعهم به ، وربما تسنى لهم الإيغال في معناه ، فعوضونا منفعة استبدوا بالتنقير عنها.

ومن جملة ما ضننا بإعلانه عابرين عليه حق مغفول عنه ، يشار إليه فلا يتلقى إلا بالتعصب ، فلذلك جرينا في كثير مما نحن خبراء بجدته مجرى المساعدة ، دون المحاقة .

---

(١) الانتساب .

(٢) أتباع أرسطو .

ولو كان ما انكشف لنا أول ما أنصبنا إلى هذا الشأن لم نبد فيه مراجعاتٍ منا لأنفسنا ، ومعاودات من نظرنا ، لما تبينا فيه رأيا ، ولاختلط علينا الرأى ، وسرى فى عقائدنا الشك وقلنا : « لعل » و « عسى » .

لكنكم — أصحابنا — تعلمون حالنا فى أول أمرنا وآخره ، وطول المدة التى بين حكمنا الأول والثانى ، وإذا وجدنا صورتنا هذه فبالحرى أن نثق بأكثر ما قضيناه وحكمنا به واستدركناه ، ولا سيما فى الأشياء التى هى الأغراض الكبرى والغايات القصوى ، التى اعتبرناها وتعقبناها مئين من المرات .

ولما كانت الصورة هذه ، والقضية على هذه الجملة ، أحببنا أن نجمع كتابا يحتوى على أمهات العلم الحق ، الذى استنبطه مَن نظر كثيرا ، وفكر مليا ، ولم يكن من جودة الحدس بعيدا ، واجتهد فى التعصب لكثير فيما يخالفه الحق ، فوجد لتعصبه وما يقوله وفاقا عند الجماعة غير نفسه ، ولا أحق بالإصغاء إليه من التعصب لطائفة إذا أخذ يصدق عليهم فإنه لا ينجيهم من العيوب إلا الصدق .

وما جمعنا هذا الكتاب لنظهره إلا لأنفسنا — أعنى الذين يقومون منا مقام أنفسنا — وأما العامة من مزاولى هذا الشأن ، فقد أعطيناهم فى كتاب « الشفاء » ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم ، وسنعطيهم فى اللواحق ما يصلح لهم زيادة على ما أخذوه ، وعلى كل حال فالاستعانة بالله وحده » .

فأحسستها مفاجأة غريبة وصدمة عنيفة ، تلك التى تحاول أن تنزع من نفسي الوثوق بكتاب « الشفاء » ، ذلك الكتاب الذى يمكن اعتباره بحق

ـ فى تقديرى وقتذاك ـ الموسوعة الإسلامية الكبرى ، ولا وهو عمد كل باحث، و بغية كل قاصد، وحمى كل لائذ ، لا فى عصرنا هذا فحسب، بل وفى العصور الغابرة أيضا ، استمدت منه الكتب أكثر ما استمدت ، وأرخت منه « لابن سينا » أكثر ما أرخت .

وكان أهون الأمرين عندى أن أحمل نفسى على الشك فى نسبة كتاب « منطق المشرقيين » إلى « ابن سينا » ، ولكن وقر فى نفسى على الرغم منى أن المسألة تستدعى البحث ، والوقوف على جلية الأمر ، فكنت كلما ضوح بى البحث نحو « ابن سينا » تنبهت هذه الفكرة ، واستشرفت النفس تتلمس الشواهد والدلائل من هنا وهناك ، ليخلص لها من مجموع ذلك كله رأى تسكن إليه وتطمئن إلى صوابه ، حتى كان أن درست الغزالى دراسة واسعة فإذا به يقرر أن :

« الرتبة الأولى من الرتبتين هى معرفة أدلة هذه العقيدة ، وقد أودعناها « الرسالة القدسية » فى قدر عشرين ورقة ، وهى أحد فصول كتاب «قواعد العقائد» من كتاب «الإحياء»وأما أدلتها معزيادة تحقيق وزيادة تأنق فى إيراد الأسئلة والإشكالات ، فقد أودعناها كتاب «الاقتصاد فى الاعتقاد » فى مقدار مائة ورقة ، فهو كتاب مفرد برأسه يحوى لباب علم « المتكلمين » . ولكنه أبلغ فى التحقيق وأقرب إلى قرع أبواب المعرفة من الكلام «الرسمى» الذى يصادف فى كتب « المتكلمين » .

وكل ذلك يرجع إلى الاعتقاد لا إلى المعرفة ، فإن المتكلم لا يفارق العامى ، إلا فى كونه عارفاً ، وكون العامى معتقداً ، بل هو أيضاً معتقد عرف مع اعتقاده أدلة الاعتقاد ليؤكد الاعتقاد ويستمره ، ويحرسه عن تشويش المبتــدعة ، ولا تنحل عقدة الاعتقاد إلى انشراح المعرفة .

فإن أردت أن تستنشق شيئاً من روائح المعرفة صادفت منها مقداراً يسيراً ، مبثوثاً فى كتاب « الصبر والشكر » وكتاب « المحبة » وباب « التوحيد » من أول كتاب « التوكل » ، وجملة ذلك من كتاب « الإحياء » .

وتصادف منها مقــداراً صالحاً يعرفك كيفية قرع باب « المعرفة » فى كتاب « المقصد الأقصى فى معانى أسماء الله الحسنى » لا سيما فى الأسماء المشتقة من الأفعال .

وإن أردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة ، من غير مجمجمة ولا مراقبة فلا تصادفه إلا فى بعض كتبنا « المضنون بها على غير أهلها » .

وإياك أن تغتر وتحدث نفسك بأهليته ، فتشرئب لطلبه ، فتستهدف[١] للمشافهة بصريح الرد إلا أن تجمع ثلاث خصال :

---

(١) يلاحظ من هذا أن الغزالى يحذر من قراءة بعض الـكتب ويخشى على قارئها سوء العاقبة لا لأن ما فيها خطأ ، إذ هى عين الصواب ، ولـكن لأن اطلاعه عليها وهو غير مستعد لفهمها على حقيقتهـا ، قد يدفع به إلى انـكارها فيهلك ، ولو أنه ظل بعيدا عنها ، لظل خالى الذهن بالنسبة إليها وقنع بما هو فى حدود طاقته واستعداده فـكان فى ذلك نجاته .

إحداها : الاستقلال فى العلوم الظاهرة ، ونيل رتبة الإمامة فيها .

والثانية : انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية ، بعد محو الأخلاق الذميمة ، حتى لا يبقى فيك تعطش إلا إلى الحق ، ولا اهتمام إلا به ، ولا شغل إلا فيه ، ولا تعريج إلا عليه .

والثالثة : أن يكون قد أتيح لك السعادة فى أصل الفطرة ، بقريحة صافية ، وفطنة بليغة لا تكل عن درك غوامض العلوم ومشكلاتها ، على سبيل البديهة والمبادرة ، فإن البليد إذا أتعب خاطره وأكدّ نفسه ، ربما أدرك بعض الغوامض أيضاً ، ولكن يدرك منها شيئاً يسيراً فى مدة طويلة . فلن يصلح لاقتباس المعرفة الحقيقية إلا قلب صاف ، كأنه مرآة مجلوة ، وإنما يصير كذلك ، بقوة الفطرة وصحة القصد ، ثم بإزالة كدورات الدنيا عن وجهه ، فإنه الرين والطبع الذى يمنع الله به القلوب عن معرفته ، وإن الله يحول بين المرء وقلبه [١] » .

فعلمت أنه قد يكون للعالم كتب يودعها أفكاراً ، ويكون مع ذلك غير آخذ بما جاء فيها . وإنما يأخذ بشىء آخر يودعه كتباً أخرى ، ولا بأس أن يتعارض ما جاء فى هذه بما جاء فى تلك ، استمع إلى الغزالى مرة أخرى حيث يقول [٢] :

---

(١) الأربعين فى أصول الدين ص ٢٤ طبع الكردستانى .
(٢) ميزان العمل ص ٢١٢ طبع الكردستانى .

« لعلك تقول : كلامك فى هـذا الـكتاب انقسم إلى ما يطابق مذهب الصوفيـة ، وإلى ما يطابق مذهب الأشعرية و بعض المتـكلمين ، ولا يفهم الـكلام إلا على مذهب واحد ، فما الحق من هـذه المذاهب ؟ ! ، فإن كان الـكل حقاً فـكيف يتصور هذا ؟ ! ، و إن كان بعضه حقاً فما ذلك الحق ؟ !.

فيقال لك : إذا عرفت حقيقة المذهب لا تنفعك قط إذ النـاس فيه فريقـان :

فريق يقول : المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب :

إحـداها : ما يتعصب له فى المباهات والمناظرات .

والأخرى : ما يسار به فى التعليمات والإشارات .

والثالثـة : ما يعتقده الإنسان فى نفسه مما انـكشف له من النظريات .

ولـكل كامل ثلاث مذاهب بهذا الاعتبار :

فأما المذهب بالاعتبار الأول فهو نمط الآباء والأجداد ، ومذهب المعلم ، ومذهب أهل البلد الذى فيه النشوء .

وذلك يختلف بالبلاد والأقطار ، و يختلف بالمعلمين ، فمن ولد فى بلد المعتزلة أو الأشعرية أو الشفعوية أو الحنفية ، انغرس فى نفســه منذ صباه التعصب له والذب عنه والذم لما سواه .

والمذهب الثـانى : ما ينطبق فى الإرشاد والتعليم على من جاء مستفيداً مسترشداً ، وهذا لا يتعين على وجه واحد ، بل يختلف بحسب المسترشد ، فيناظر

كل مسترشـــد بما يحتمله فهمه . فإن وقع له مسترشد تركى أو هندى أو رجل بليد جلف الطبع ، وعلم أنه لو ذكر له أن الله تعالى ليس ذاته فى مكان ، وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصلاً بالعالم ولا منفصلاً عنه ، لم يلبث أن ينكر وجود الله تعالى ويكذب به . فينبغى أن يقرر عنده : أن الله تعالى على العرش وأنه يرضيه عبادة خلقه ، ويفرح بهم فيثيبهم ويدخلهم الجنـــة عوضاً وجزاءاً .

وإن احتمل أن يذكر له ما هو الحق المبين يكشف له .

فالمذهب بهذا الاعتبار يتغير ويختلف ويكون مع كل واحد على حسب ما يحتمله فهمه .

المذهب الثالث : ما يعتقده الرجل سراً بينه وبين الله عز وجل لا يطلع عليه غير الله تعالى ، ولا يذكره إلا مع من هو شريكه فى الاطلاع على ما اطلع ، أو بلغ رتبـة يقبل الاطلاع عليه ويفهمه ، وذلك بأن يكون المسترشد ذكياً ولم يكن قد رسخ فى نفسه اعتقاد موروث نشأ عليه وعلى التعصب له .

فهذا طريق فريق من الناس .

وأما الفريق الثانى وهم الأكثرون ، يقولون : المذهب واحد ، هو المعتقد وهو الذى ينطق به تعليماً وإرشـاداً ، مع كل آدمى كيفما اختلفت حاله ، وهو الذى يتعصب له . وهو إما مذهب الأشعرى أو المعتزلى أو الكرامى ، أو أى مذهب من المذاهب ، والأولون يوافقون هؤلاء على أنهم لو سئلوا عن المذهب :

إنه واحد أو ثلاثة ؟ ؟ ، لم يجز أن يُذكر أنه ثلاثة ، بل يجب أن يقال : إنه واحد » .

وهكذا : يرى فريق من العلماء أن الناس ما داموا مختلفين فى استعدادهم ومداركهم فليس يناسبهم جميعاً غذاء فكرى واحد « حيث قال الله تعالى : ﴿ أُدعُ إلى سبيلِ رَبِّكَ بالحِكمةِ والموْعِظَةِ الحَسَنة وجادلْهُمْ بالَّتى هى أحسَن ﴾ فعلَّم أن المدعو إلى الله تعالى بالحكمة قوم ، و بالموعظة قوم ، و بالمجادلة قوم ، فإن الحكمة إن غذِّى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بلحم الطير . وأن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلبن الآدمى[1] » .

ثم إنى وجدت « ابن سينا » يقرر فى « الإشارات » نحو ما يقرر الغزالى فيقول فى أول القسم الطبيعى « وأنا أعيد وصيتى وأكرر التماسى ، أن يضن مما تشتمل عليه هذه الأجزاء كل الضن على من لا يوجد فيه ما اشترطه فى آخر هذه الإشارات » .

أما هذا الذى يشترطه آخر الإشارات فهو نحو ما يشترطه الغزالى فى من يقرأ كتبه المضنون بها على غير أهلها .

كذلك وجدت « ابن طفيل » فى كتابه « حي بن يقظان[2] » يقول :

---

(١) القسطاس المستقيم للغزالى ص ١٦ .

(٢) ص ٦٨ طبع دمشق .

وأما كتب « أرسطوطاليس » فقد تكفل الشيخ « أبو على » بالتعبير عما فيها وجرى على مذهبه ، وسلك طريق فلسفته فى كتاب «الشفاء» وصرح فى أول الكتاب بأن الحق عنده غير ذلك . وأنه إنما ألّف ذلك الكتاب على مذهب المشائين ، وأن من أراد الحق الذى لا جمجمة فيه فعلية بكتابه فى « الفلسفة المشرقية » .

وأيضاً وجدت الثقات من المؤرخين يسندون كتاب «منطق المشرقيين (١) » لابن سينا .

فلم أجد بداً بعد كل ذلك من أن أنفض يدى من كتاب « الشفاء » كمصدر من المصادر التى تصور آراء « ابن سينا » وأفكاره . وإن استبقيته كمصدر من المصادر التى تؤرخ للمشائين فى عهد « ابن سينا » ومن قبله .

ومما هو جدير بالملاحظة أن كتاب «النجاة» كتب على الصفحة الأولى منه تحت عنوانه هذه العبارة : « مختصر الشفاء » ، فلو صح أن هذه العبارة من صنع ابن سينا نفسه وهو ما أرجحه ــ لما يبدو فى عبارة الكتاب من الركة وعدم الدقة ، الأمر الذى يدل على أنه ألفه للعامة أو أشباه العامة ، وأيضاً لخلوه من مثل الوصية التى اشتمل عليها كتاب « الإشارات » التى تدل على أن الموصى يدخر محتويات كتابه لطائفة خاصة هم الممتازون ــ لوجب أن نضع

---

(١) وهو فيما أرى « الحكمة المشرقية » غير أنه لما طبع قسم المنطق منها على حدة سمى « منطق المشرقين » .

كتاب « النجاة » فى الموضع الذى وضع فيه « ابن سينا » كتب « الشفاء » من أنه مصدر لأفكار المشائين فى عصر « ابن سينا » ومن قبله .

هكذا تدفع بنـــا النصوص دفعاً وتحتم علينا النتائج تحتيماً أن لا نستملى أفكار « ابن سينا » من كتابى « الشفاء والنجاة » وإنما نستمليها من كتاب « الحكمة المشرقيـــة » إلا أن هذا الكتاب لسوء الحظ ناقص لم يوجد منه إلا قسم المنطق فقط ، بل لم تستكمل فيه البحوث المنطقية ، ولست أدرى أمفقود باقيه فقداً تاماً ، أم يوجد منه نسخ كاملة فى بعض المكتبات ؟ ! !

ومهما يكن من شىء فمما لا شك فيـــه أن كتاب « الإشارات » الذى نقدمه للقراء هو من المصادر التى كتبها « ابن سينا » لنفسه ومن هم فى درجة نفسه ، بدليل هذه العهود التى أخذها على قارئه ، فيمكن الانتفاع به فى تصوير أفكار « ابن سينا » الخاصة التى أدخرها لنفسه .

وبعـــد كل ذلك فلست أرى لهذه المحاولات الطويلة التى قام بها المستشرقون لتفسير كلمة « مشرقية » الواردة فى عنوان كتاب « الحكمة المشرقية » كبير فائدة ، فلقد أرادوا أن يتخذوا من الكلمة دليلاً على يحتويه الكتاب ، لأنه ــ فيما يظهر ــ لم يصل إليهم الكتاب .

فبينما يذهب « تولوك[١] » إلى القول بأن « الحكمة المشرقية لابن سينا

(١) التراث اليونانى ص ٢٥٤ .

هى حكمة الإشراق التى اتخذها بعض المسلمين ، وليست هـذه الحكمة إلا الإفلاطونية المحدثة ، والمشرقية من الإشراق بمعنى الإضاءة » .

إذ « يوكوك الأصغر[١] » يقول « من الصعب علينا أن نحدد الغرض الذى قصده « ابن سينا » فى هذا الكتاب ، ولكن يظهر أنه بحث فيه فى فلسفة الشرقيين أى الهنود » .

ويذهب[٢] « هورتن » إلى التصريح : « بأن ما يقوله « ابن طفيل » وهو أن « ابن سينا » صرح بأن آراءه الخاصة يجب أن يبحث عنها فى « حكمته المشرقية » لا فى كتاب « الشفاء » ليس إلا أسطورة يمكن تفسير أصلها بسهولة :

ذلك أنه لما كان « ابن سينا » عميق العاطفة الدينية. مؤمناً بأن القرآن وحى سماوى ، فإنه قد حاول أن يطبع فلسفة أرسطو ذات الطابع الوثنى بطابع إسلامى ، ونجح فى هذه المحاولة .

ولهذا فإن الأسطورة المذكورة قصد بها إلى التعبير عن هـذه الفكرة ، ونعنى بها أنه عند « ابن سينا » لم يكن العلم الدنيوى الوثنى هو الشىء المهم ، وإنما المهم هو المعرفة الدينية التصوفية التى أدخلها هو نفسه فى تفسيره لفلسفة أرسطو ، بأن توسع فى هذه الفلسفة ونماها ولهذا فإنا نجد فى كتبه المشرقية « التصوفية » معتقداته هو الخاصة .

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٥٢ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٣ .

ومع ذلك فالقول بأن كتاب « الشفاء » يحتوى على آراء « ابن سينا » الحقيقية ـ وهى لا تناقض آراءه فى كتبه التصوفية ـ قول صحيح واضح» .

أقول : إنه لا داعى للجرى وراء مدلول الكلمة اللغوى ، ليُعرف بمقتضاه محتويات الكتاب ، فإنه :

من ناحية ، محاولة غير موفقة بدليل هـذا الاختلاف الذى أتيت على طرف يسير منه [1] .

ومن ناحية أخرى فإن هذه النصوص الصريحة التى صدرت عن « ابن سينا » لا تدع مجالاً للقول بأن ما يحتويه كتاب « الشفاء » يساير تمام المسايرة ما يحتويه كتاب « الحكمة المشرقيـة » رغم ما يحاوله « هورتن » ويتعسف فى تأويله .

والذى لا يقنع بهـذه النصوص الصريحة ، ويريد ما هو آكد منها وأدخل فى الوثوق والطمأنينة ، فليس أمامه إلا منهج واحد سليم ، هو الرجوع إلى كتابى « الشفاء » و « الحكمة المشرقية » ليقارن بينهما ، فإن وجد بينهما مفارقة حقيقية ، علم أن « ابن سينا » كغيره من الفلاسفة الذين يعتقدون أن الناس متفاوتون فى مداركهم واستعدادهم ، وأنه لذلك لا يمكن أن يقدم إليهم جميعاً غذاء فكرى واحد . وإن وجد غير ذلك كان له بإزاء هـذه النصوص موقف .

---

(١) والذى يراجع المقالة الخاصة به فى كتاب «التراث اليونانى» يجد العجب العجاب .

فإن لم تتيسر هذه المقارنة لفقدان أحد طرفيها وهو « الحكمة المشرقية » فهنالك ما يسد مسده ، ويملأ فراغه ، وهو كتاب « الإشارات » كما أشرنا إليه سابقاً .

ولم أسلك أنا هذا المسلك لأمور :

الأول : أنى مطمئن إلى دلالة هذه النصوص ، ولم يصح عندى ما يرينى فيها .

الثانى : أن دراستى للغزالى وابن رشد أكدت لدىّ أن كل فيلسوف رشيد ينهج فى التأليف نهج التفريق بين ما يقدم للسواد الأعظم ، وما يقدم للخاصة الممتازين .

الثالث : أن كتاب الشفاء ليس لدينا منه فى مصر نسخة كاملة — فيما أعلم —

ومهما يكن من شىء — سواء وافق ما فى الشفاء غيره أم لم يوافقه ، وسواء نزعنا منه الثقة أم لم ننزعها — فإن كتاب « الإشارات » كتاب لا يمكن أن يداخلنا فيه شك من جهة أنه مصدر صحيح يصور آراء ابن سينا وأفكاره الخاصة التى ضنّ بها على من ليس فى مثل درجته .

الاشارات والتنبيهات

للرئيس ابن سينا

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أحمد الله على حسن توفيقه، وأسأله هداية طريقه. وإلهام الحق بتحقيقه.

وأصلى على المصطفين من عبيده لرسالته، وخصوصاً على محمد وآله.

أيها الحريص على تحقق الحق، إنى مُهدٍ إليك فى هذه «الإشارات والتنبيهات» أصولاً وجُملاً من الحكمة، إن أخذت الفطنةُ بيدك سهل عليك تفريعها وتفصيلها.

ومبتدئ من «علم المنطق»، ومنتقل عنه إلى «علم الطبيعة» و«ما بعده».

obeikandl.com